من الثائرين في الثورة حيوية جددت من فعاليته في الثورة على الواقع . تصور كمال ناصر مهمته كونها ايصال الواقع الى الثورة حتى لا تنقطع الثورة عن الواقع . من خلال معرفته الدقيقة للواقع أدرك كمال ناصر كيف يصبح باستطاعة الثورة أن تغير الواقع . هنا وجد نفسه في مأزق كبير . كانت شاعريته المرهفة تفضل أن يردد انشودة الثورة فيصبح فارسا من فرسان أحلامها الا أن كمال ناصر اختار ورشة العمل يغامر بشاعريته بدلا من المغامرة في ثوريته المتأصلة في كيانه وتاريخه وسيرته . وكم بدا وكأنه مزدوج الشخصية عندما كان يحنو الى ايقاع ألحان أشعاره ويتأمل مـــا يمكنه عطاءه في هذا المضمار وفي نفس الوقت يستدرك استباقا منه لهاجس الخوف الحقيقي من أن يؤدي به الحنين الى استعداد نفسي للتخلي عن الممارسة الثورية . كان مكانه الأول والاخير رغم كل الظواهر ، هو في ورشة الثورة .

لم يكن كمال ناصر هكذا في الثورة الفلسطينية المعاصرة فحسب بل كان هكذا في ورشة الثورة العربية التي عاش بكليته تعرجات وتضاريس مسيرتها المتعثرة والمنتكبة . . وكان كمال ناصر يقلق على مصير الورشة وكان يتمزق فهو قد وجد نفسه ـــ أيام البعث ـــ في مواقع التفكير لكنه بعيدا ومبعدا عن مواقع التقرير . . وكانت مأساته أن طلاقا حصل بين مواقع التفكير والتقرير وجسد الضياع وحالة التيه التي عاشها جيله بأمانة كاملة ، لكن في الوقت نفسه كان كمال ناصر يفتش عن طريق وعن منهاج وعن وسيلة يعيد بها بناء ورشة الثورة لان كل سلطة ، بنظره ، دون مستوى الثورة تكون فاقدة للأهلية وللشرعية. كمال ناصر أصر ان لا سلطة خارج الثورة ولا ثورة حقيقية مع سلطة مبتورة.

وجاءت هزيمة ١٩٦٧ ووجد كمال ناصر نفسه وجها لوجه مع العدو فنفذ ببصيرته الى حقيقة مراميه فترسخت قناعاته بضرورة ترميم الثورة . . وحيث كان يفتش كان يغني مآسي شعبه وطموحاته حتى شرده العدو وكان من أوائل من أخرجتهم سلطات الاحتلال واذ به ثاني يوم معركة الكرامة يجد ورشة الثورة فينخرط في صفوفها يحمل اليها تجربة خصبة وتصميما فولاذيا ـــ ظنها الكثيرون نقيضا للشاعرية ـــ على تجنيب ورشة الثورة الجديدة أخطاء وفواجع ورشات الثورات العربية السابقة . وكان لا بد أن يعي ويضغط على أن تكون عناصر التفكير والتقرير في موقع واحد ، وفي خندق واحد .

من أجل ذلك استبقى كمال ناصر استقلاليته التنظيمية اعتقادا منه ان باستطاعته ان يساهم في ابقاء فصائل المقاومة بأوثق وأدفأ العلاقات فيما بينها ومع الملتزمين المصدومين من هزيمة ١٩٦٧ والمؤسسات التي أوصلتنا الى الهزيمة . من هنا كان دور كمال ناصر في أن يبقى مستقلا عن تنظيم الفصائل لكنه بنفس الوقت مؤتمنا على الانضباط في وحدتها الوطنية .

كان جريئا في تصديه للتشرذم ولكل محاولات التفرد في العمل أو المبادرة . في هذا المضمار لعب دورا رئيسيا في ارساء قواعد الوحدة الوطنية ومواثيقها وجعل من دائرة الاعلام